مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الثاني والثالث ـ المجلد الثامن والثلاثون

بغداد

شوال ١٤٠٧ هـ ـ حزيران ١٩٨٧ م

شيء عن الموضوعية

الدكتور سعدون حمادي
(عضو المجمع)

الموضوعية تعبير شائع وقبل البدء بمناقشة الموضوع لابد من مقدمة تتناول التوضيح لهذا التعبير فما هي الموضوعية ؟ الموضوعية مأخوذة من الموضوع والمقصود هنا أن الموضوع المعني يقع خارج الانسان أي خارج النفس • فالشيء عندما يكون موضوعيا يعني أنه يقع في مجاله خارج النفس وليس نابعاً منها • فالموضوع عندما ننظر له أو نحاول أن ننظر له كما هو موجود خارج عواطفنا ورغباتنا ومشاعرنا أي خارج نفوسنا تكون نظرتنا له بهذا المعنى موضوعية • والموضوعية بالتعبير الشائع في البحث تقابل الذاتية أي ماهو نابع من داخل النفس وممتزج بعواطفها ورغباتها ومشاعرها • أذن فالموضوعية مأخوذة من الموضوع والموضوع مكانه خارج النفس أي كما هو موجود في الحقيقة المجردة أن صح التعبير وليس خارجا عنها وممزوجاً بعواطفنا ورغباتنا وكل مايصدر عن النفس من أحاسيس •

وتبعاً لهذا الفهم فأن درجة الموضوعية تعتمد طردياً على درجة أنفصالها أو خلوها من العواطف والرغبات والاهواء الصادرة عن الذات البشرية فكلما أبتعد الموضوع عن الذات كان موضوعياً وكلما أقترب منها كان ذاتيا •

أن هذا التعريف البسيط للموضوعية لايتضمن أي أدعاء يتعلق بأمكانية

أودرجة تحقق هذا التجرد عن الذات فذلك موضوع آخر فهو مقصور على تحديد المقصود بغض النظر عن درجة النجاح أو درجة الامكانية لتحقيق ذلك .

ولزيادة الايضاح أقول أن الموضوعية بهذا المعنى ـ أي التجرد عن الذات البشرية ـ أمر طالما ورد في البحوث الفكرية ، ودرجة الاهتمام به كما هو معروف كبيرة لسبب بسيط هو أن غاية البحث في النهاية هي التوصل للحقيقة بدون الخوض في جوانب هذا الموضوع فلسفياً أي بغض النظر عن ماهيته الحقيقية وجوهرها . ونظرا لان العواطف والرغبات والاهواء الصادرة من النفس البشرية قد تحجب أو تجعل من الصعب على الفكر البشري معرفة الحقيقة لذلك جاء الاهتمام بقضية الانفصال عما يصدر من داخل النفس من عواطف وأهواء ورغبات . وبعبارة أخرى من أجل الوصول للحقيقة لابد من تحرير الفكر من كل مايمكن أن يشوش عليه أو أن يحيط الصورة بالضباب فيطلقه حراً لينفذ لحقيقة الموضوع المبحوث .
أذن فالحديث عن الموضوعية في أساسه هو الحديث عن الرغبة في التوصل للحقيقة المجردة .

أن هذا التحديد المبسط لعلاقة النفس البشرية بالحقيقة المجردة يقوم على فرضية مسبقة هي أن في النفس البشرية رغبات وأهواء وعواطف أذا ماأمتزجت بعملية البحث فأنها تشكل عاملا سلبيا معرقلا للوصول للحقيقة المجردة فهي بهذا المعنى وفي هذا المجال علاقة سلبية لذلك قيل أن عملية البحث عن الحقيقة يجب أن تتجرد عن الاهواء والعواطف والرغبات فتتجه للموضوع وتبتعد عن الذات .

الجزء الثاني من العنوان يعني أن المقصود هنا هو البحث في شيء أي جزء من قضية الموضوعية وليس كلها فالقضية واسعة فلا المجال ولاحدود معرفتي تسمح بالادعاء بأنني في هذا المقال سأستطيع معالجة كامل القضية ومن

جميع جوانبها • أذن فالحديث هنا يتناول الجزء وليس الكل • ومرد ذلك هو أنني قد فكرت بالامور التي سأتناولها لفترة طويلة من الزمن وتفاعلت في ذهني نتيجة للعمليتين المستمرتين مدى الحياة : عملية القراءة وعملية التجربة • وبعبارة أخرى أنني طالما فكرت في هذا الموضوع وبحدود ماقرأت عنه وبحدود مالمسته من تجارب قد تكونت لدي عنه أنطباعات ثم أفكار رأيت في مرحلة لاحقة تدوينها • لذلك فهي محدودة بهذه الاعتبارات • أنها محدودة بحدود قدرتي على الاقتراب من الحقيقة وبحدود ماأتيح لي واقعياً من بحث نظري وتجربة عملية •

لكل ذلك وتوخيا للامانة رأيت أن يعبر العنوان عن هذه الحدود فأخترت لذلك عبارة (شيء) تعبيراً عن المحدودية التي قصدتها •

- ٢ -

قلنا أن الغرض من الموضوعية هو معرفة الحقيقة وهنا أجد من المفيد أن أشرح بكلمات أكثر المقصود وبدرجة أعلى من التحديد •

الحقيقة في المجال الفلسفي تعني شيئا واسعا وأمورا متعددة بتعدد المذاهب الفلسفية • أما المقصود بالنسبة لي فهو الحقيقة المتعلقة بفهم عملية النهضة العربية • كيف تتحقق النهضة وماهي قوانينها كيف تبدأ وكيف تسير وكيف تتصاعد ؟ ماهي القوانين التي تحكم التطور العام في الوطن العربي كمجال موحد لامة محددة الصفات والشخصية • كيف نكتشف تلك القوانين وما هو الموقف منها وكيف تجري عملية التلاءم بين تحرك الواقع ومسار تلك القوانين لئلا تتعثر النهضة ولكي لاتعترضها أية عقبات ولاتضيع في تلك العملية أية أمكانيات ؟

أن معرفة قوانين النهضة وتطورها هو من دون شك الخطوة الاولى لا بل أهم خطوة في عملية النهضة • أن تكوين هذه المعرفة يتوقف على درجة تحرر

تفكيرنا مما هو ذاتي ليستطيع أن يـرى الحقيقة مجردة عن كل مايمكن أن يحجبها أو يشوش صورتها من عوامل نابعة من الرغبات والاهواء والعواطف • وبعبارة أخـرى أننا نحتاج للموقف الموضوعي في عملية التفكير لمعرفـة الحقيقة عن النهضة • ومعرفة الحقيقة المجردة في هذه القضية كما في أية قضية أخرى أمر هام للوصول الى الهدف الذي نسعى اليه ويسعى له الانسان في كل مجال آخر من مجالات التقدم الان وفي كل زمان ومكان • أذن فالنظرة الموضوعية من هذه الناحية وبهذا المعنى ضرورية لعملية النهضة •

أذا قبلنا المقولة المتعلقة بمعنى الموضوعية وبهدفها بالشكل المبسط الذي أوردناه يصل بنا البحث الى السوءال عما أذا كانت الموضوعية صعبة التحقيق فهل هي صعبة ؟ • الجواب نعم هناك صعوبة تواجه التفكير الموضوعي • الانسان كما تصوره بعض المفكرين عقلا صرفا والكون تحكمه قوانين عقلية مجردة • ذلـك هو عالم نيوتن صاحب نظريـة الجاذبية • ولكن هـذه النظرة العقلية للانسان قـد تغيرت لحد ما بأكتشاف أهمية ودور الغرائز في الانسان وبالتالي في العالم ، وقد أتضح ذلـك بشكل جلي في ما أضافـه داروين للمعرفة البشرية في نظريته عن أصل الانواع وكيفية تطور الانسان • أذن هناك العقل وهناك الغريزة ، وكلاهما قوتان مؤثرتان في تفكير وسلوك الانسان • في الانسان جانب فـكري وجانب عاطفي ، أي جانب موضوعي وجانب ذاتي • ومنشأ الغريزة في الانسان كما هو في جميع الكائنات الحية الاخرى هو البقاء والدفاع عن النفس • فالحيوان لديه غرائز تساعده عـلى تأمين مستلزمات الاستمرار والبقاء والدفاع عن الوجود ضد الاخطار التي تهدده من الخارج • ولديه شيء من العقل يتفاوت من فصيلة لاخرى يستعمله لنفس الغرض الا وهو تأمـين مستلزمات الحياة والدفاع عن الوجود • وفي الانسان غرائـز متطورة لنفس الغرض الا أنه يملك بجانب ذلك عقـلاً

متطورا بالنسبة لما عند الحيوان الامر الذي خلق هذا الازدواج في وجود العقل والعاطفة .

ويتضح من ذلك أن الغرائز الموجودة في الانسان ذات هدف وتخدم غاية محددة هي تأمين البقاء والاستمرار ومواجهة المخاطر. أذن فهي صادرة عن الذات وملتصقة بها . والغرائز في خدمتها للذات لاتعرف التوازن بحد ذاتها وليس فيها حدود من داخلها بل هي مطلقة لاحدود لها . فالحدود التي نلحظها على الغرائز عند الناس بدرجات متفاوتة أنما مصدرها ليس الغرائز نفسها بل العقل أو الجانب الروحي في الانسان .

فهي بهذا المعنى قوة أخرى وجانب آخر في النفس البشرية . أما الغريزة بحد ذاتها وبجوهرها فليس فيها ميزان ضبط ولاتملك آلية للتوازن من أجل التفريق بين مايجب ومالايجب ، من أجل التمييز بين الحد المسموح به للغريزة وبين الحد غير المسموح . أي أن الغريزة بحد ذاتها لاتعرف أين يجب أن تقف . أن عملية التوازن في الغريزة لايأتي من داخلها بل من توازنها مع الجانب الروحي في الانسان . لذلك وبهذا المعنى فما ينتج عن الغريزة هو الانانية بمعنى الاهتمام بالذات . ويلاحظ هنا أننا يجب الا ننظر للاهتمام بالذات بحد ذاته وبكل حالاته على أنه شر أو شيء غير مرغوب فيه لانه في دافعه الاول متجه للدفاع عن الوجود وأستمرار الحياة وهو أمر في جوهره أخلاقي وهذا هو معنى الموقف القانوني الذي يجيز القتل دفاعا عن النفس . أما مايوصم باللاأخلاقية فهو عندما تنطلق الغرائز وتتمادى دون أن يستطيع الجانب الروحي في الانسان ضبطها والسيطرة عليها الى حد الاعتداء على وجود الاخرين . وبكلمات أخرى يمكننا القول أن الانانية (أي الاهتمام بالذات) في بدايتها مشروعة ولكنها في نهايتها تصل الى درجة اللامشروعية . والوضع الصحيح هو أن يوازنها الجانب الروحي في الانسان في مرحله ما فتحقق هدفها المشروع في الدفاع عن الذات وتتوقف عند حدود الاعتداء على وجود الاخرين .

وكما أوضحت في البداية أن الاهتمام بالذات له مظاهر هي الاهواء والرغبات والعواطف التي تحركها غرائز الانسان بغض النظر عن المرحلة التي وصلت اليها قبل أو بعد نقطة المشروعية • أي أن الانانية والحس الذاتي يكون دائما مصحوبا بتحرك المشاعر والرغبات والاهواء الخاصة • وتحرك هذه المشاعر والرغبات والاهواء يحصل بأستمرار وكلما دعت الحاجة • والحاجة هنا تعني كلما تعرض الانسان لرأي أو موقف أو عمل • ففي جميع هذه الحالات هناك نوع من الفعل ورد الفعل من الاثر والاثارة • فعندما يتعرض الانسان لحالة تتطلب منه أن يتخذ موقفا معبرا عنه بالقول أو الفعل تثار هذه المشاعر بصورة تلقائية أي تثار أنانيته في الاهتمام بالذات وتحقيق المصالح بغض النظر عن مشروعية ذلك ومقياسه الخلقي • أي أن الانسان عندما يواجه أي موقف له علاقة به يبدأ الجانب الغريزي فيه بالعمل فتثور أنانيته ويحس بالمشاعر المصاحبة لذلك وهي مشاعر الرغبات والاهواء • أن النتيجة النهائية لموقف ذلك الانسان تتقرر بالطبع من حصيلة توازن القوى في عملية الجذب والدفع بين أنانيته وأخلاقياته ، بين ذاتيته ومبادئه • ولكن المهم في المجال هو أن نقول أن عملية استثارة الجانب الغريزي في الانسان موجودة دائما وتحصل كلما تعرض الانسان لموقف له علاقة (أو كما يتصور هو) بمصالحه الخاصة •

الانسان في عملية تفكير مستمر تطرح أمامه يوميا الاراء من مختلف المصادر فيما يقرأ ويسمع ويرى ••• الخ وفي كل مرة يشعر فيها أن الرأي المطروح أمامه له علاقة بذاته ومصالحه تثور فيه هذه الانفعالات الداخلية بفعل تحرك العامل الغريزي هذا • وبالطبع تتناسب حدة تلك الانفعالات مع درجة علاقة مايطرح أمامه من آراء بذاته أي درجة تصوره للخطر الذي يمثله الرأي المطروح على ذاته •

أذن هناك عامل قد يدخل في عملية تكوين الموقف أزاء الرأي الذي

يطرح على الانسان هو عامل تحرك الذات أي تحرك الاهواء والرغبات والانانية • وبدلا من أن يتناول الانسان الرأي الذي يطرح أمامه بصفاء وتجرد ويؤخذ العقل مجاله الكامل في تقييم الرأي المطروح وتكوين موقف حوله على أساس مابذلك الرأي بحد ذاته من عناصر القوة أو الضعف يدخل عامل مشوش يدفع في أتجاه محدد سلفا هو أتجاه الذات والانانية • وبكلمات أخرى بدلا من أن تكون عملية تكوين الرأي موضوعية بحته أساسها جوهر الموضوع المطروح تصبح مشوبة بعامل الذاتية الاتي من الغرائز • ولعل أحسن من عبر عن ذلك هو أكثم بن صيفي في قوله (آفة الرأي الهوى) • فأذا كانت البلاغة هي الايجاز وأذا كانت الحكمة هي النفوذ لحقيقة النفس البشرية في واقعها الموجود فأن هذا القول يجمع الحكمة والبلاغة معاً • هذا هو المصدر الاول للاموضوعية أن صح التعبير •

- ٣ -

المصدر الاخر للاموضوعية هو قوالب التفكير • فما هي قوالب التفكير ؟ المفروض أن العقل البشري يعمل بصورة حرة ويتناول الموضوع المطروح عليه بشكل مجرد وفي حرية تامة فيتناوله مباشرة دون أن يمر بوسيط أو بمرحلة تقف بينه وبين الموضوع • ولكن الواقع يدل على أن العقل البشري بمرور الوقت يميل لتكوين قوالب يعمل من خلالها ويتحرك في ضمنها • والقوالب هي عادات تفكير • وكما توجد عادات في السلوك هناك أيضا عادات في التفكير • وعملية تكوين القوالب هي في حقيقة الامر عملية تأطير بطيء خلال الزمن تتكون من خلالها اطر وقوالب لحالات لامتناهية من العمليات العقلية • وبتكوين هذه القوالب يصبح العقل بصورة لاواعية يعمل بضمن تلك القوالب عندما يتناول الامور المطروحة للتفكير • وبذلك تتكون الاجوبة الجاهزة أو المواقف الجاهزة أو ماهو قريب من ذلك لمختلف الامور التي تكونت عنها قوالب تفكير • وبذلك تصبح قوالب التفكير هذه حائلاً بين العقل وبين النظر للامر المطروح للنقاش بصورة حرة ومجردة • عندها

لايستطيع العقل أن ينفذ لجوهر الموضوع المطروح ولا التفريق الدقيق بين الحالات المتقاربة الامر الـذي يجعل جواب العقل واحدا على قضايا هي في حقيقتها ليست واحدة بل هي وأن كانت متقاربة الا أنها ليست متطابقة • فلو كان العقل يعمل بدون هذه القوالب لاستطاع تكوين معرفة أكمل عن كل قضية بأبعادها وحدودها وحقيقة جوهرها وصاغ لها الموقف المناسب لها • أما عندما توجد هذه القوالب تضعف قدرة العقل على التفريق بين الامور • فتنقص الدقة في تحديد الامور ويحل الموقف الجاهز مكان الموقف المحـدد الدقيق • وبذلك يكون العقل قد قارب الموضوع في أحسن الاحوال ولـم يستطع الوصول اليه أي أنه كون شيئا من المعرفة عنه بدلا من محاولة النفوذ لكامل حقيقته •

أن عملية تكوين قوالب التفكير ذات بعد زمني وذات بعد أجتماعي • فمرور الزمن بحد ذاته يساعد على تكوين قالب فكري عن قضية من القضايا بفعل تكرارها ومرور الزمن على تناولها في عملية التفكير • كما أن العيش في مجتمع وبضمن جماعة بشرية بكل ماينطوي عليه ذلـك من تكوين الدولة ونشوء مؤسساتها وتطور تلـك المؤسسات خاصة في مجال الاعلام يساعد أيضاً على تكويـن تلك القوالب • وبعبارة أخرى أن المجتمع بمرور الزمن يميل الى تكوين قوالب التفكير هـذه بفعل العاملين المذكورين المتحدين : الزمن والجماعة • فالعقل البشري في نقطة زمنية محددة يتعرض لقضية فيعمل لتكوين موقف أزاءها مهما كان ذلـك الموقف وعندما يتعرض ثانية لنفس القضية (أو مايتصوره أنه نفس القضية) فأنه ميال لاستذكار الموقف الـذي كونه سابقا أزاءها • وبتكرار هذه العملية زمنيا يصبح ميالا بالتدريج الى تكوين قالب أو عادة فكرية وبذلك تتحول عملية التفكير تدريجيا الى عملية شبه آلية بسبب وجود القالب أو العادة التي تكونت من خلال الزمن •

كما أن العيش بضمن الجماعة والاتصال بهم وظهور مايسمى بالرأي

العام بكافة أنواعه وأقسامه وظهور وسائل الاتصال الحديثة ووسائل الاعلام المتطورة التي تنقل آراء الاخرين ومواقفهم الفكرية أزاء مختلف القضايا يساعد على تكوين هذه القوالب • والحصيلة النهائية للعمل من خلال القوالب هي تبسيط عملية التفكير • فالعقل البشري عندما يتناول الموضوع المطروح عليه بذاته وبصورة مجردة عليه أن يمر بمعاناة وأجهاد ناتج عن الفحص والتدقيق ومحاولة الوصول لكنه الشيء في حين أن هذه المعاناة وهذا الجهد يكون أقل عندما تجري عملية التفكير من خلال قوالب أصبحت بمرور الوقت ومن خلال المجتمع جاهزة • أن قوالب التفكير تسهل عملية التفكير الا أنها تقلل من دقتها • أن تكوين المواقف الفكرية يكون أسهل على الانسان عندما يجري من خلال قوالب التفكير •

ولعل أساس تكوين هذه القوالب في الاصل هو ذلك الميل الطبيعي عند الانسان للركود المعبر عنه أحيانا بالراحة فقد قيل أن الانسان بطبيعته يميل للركود الا أذا حفز • ومهما يكن من أمر ذلك فالسبب لايعنينا بقدر مايعنينا وجود هذه الظاهرة : ظاهرة تكوين قوالب التفكير • أن عملية التفكير يمارسها كل الناس وخلال أمتداد الزمن وهي تحدث للفرد الواحد في أغلب أوقات يومه تقريباً لذلك فمن المنتظر أن يظهر عنده الميل لتسهيلها وتبسيطها عن طريق تكوين هذه العادات • وعلى سبيل المثال في مجال السلوك نلاحظ أن الانسان أخذ بمرور الزمن بتكوين عادات ، سلوك • وعادات السلوك تحدد ماذا يجب أن يعمل الفرد عندما يتعرض لموقف معين فبغياب العادات على الفرد أن يصوغ موقفاً في التصرف لكل حالة تحصل له وتلك عملية أكثر مشقة • في حين أنه بتكوين العادات أصبحت عملية أتخاذ القرار بماذا يجب أن يعمل أزاء هذا الموقف أو ذاك أكثر يسرا وذلك بلجوءه للعادة التي تدله على ماذا يجب أن يعمل • أذن فممارسة العادات في مجال السلوك من شأنها أن تسهل على الانسان عملية التصرف أزاء مايحدث له • ونفس الشيء يصح في مجال تكوين الاراء فالعقل البشري أخذ بمرور الوقت يكون قوالب للتفكير تعينه في عملية

التفكير وتكوين الاراء • أنني أسوق هذا التفريق بين عادات التصرف وعادات التفكير من أجل الايضاح فقط أذ أن الامر في حقيقته واحد فالتصرف لايحدث بمعزل عن التفكير وعملية تكوين العادات أو القوالب في حقيقتها واحدة ولا تتضمن مثل هذا التفريق الذي أسوقه كوسيلة أيضاح ليس الا • أذن فعقل الانسان الذي يعيش بضمن المجتمع وبمرور الوقت ميال لتكوين قوالب يعمل من خلالها •

الامة التي تعيش في الدولة تكوّن بمرور الوقت قوالباً للتفكير خاصة بها متأثرة لحد بعيد بماضيها وظروفها الحاضرة ونوع علاقاتها بالامم الاخرى • الاقلية الدينية أو العنصرية التي تعيش بضمن أمة أخرى تكون بفعل ظروفها الحاضرة وماضيها ونوعية علاقاتها بالامة التي تعيش بضمنها قوالباً للتفكير خاصة بها •الفرد يكون قوالباً للتفكير من خلال أمته أو أقليته الدينية أو فئته الاجتماعية أو مهنته أو مدينته أو أي تجمع آخر ينتمي اليه • وتكون قوالب التفكير قد يكون بفعل تطور عالمي معين • فالاكتشافات الجغرافية والثورة الصناعية والاستعمار والحروب العالمية والتطور التقني وحركات التحرر والتسلح النووي والتطور في مجال المعلومات تطورات عالمية من شأنها أن تدفع الانسان لتكوين قوالب تفكير معينة أزاءها • في المجتمع الديني عادات تفكير وفي المجتمع القبلي عادات تفكير • في مجتمع الدولة الصغيرة الفقيرة عادات تفكير وفي مجتمع الدولة الكبيرة ــ الغنية عادات تفكير • في المجتمع المتخلف المغلق عادات تفكير تختلف عن عادات التفكير في المجتمع الحديث المتطور • وقوالب التفكير هذه قد تخص الفرد أزاء فرد آخر أو أزاء المجتمع أو أزاء مجتمع آخر وهكذا • ومفعول قالب التفكير هذا هو أن يجعل الفرد يفكر أزاء قضية ما لاعلى أساس حقيقة تلك القضية بعد التأمل فيها ودراستها والنفوذ لجوهرها بل على أساس ماأتخذه من موقف أزاءها في المرات السابقة وعلى أساس مايتخذه الاخرون الذين يعيش معهم من موقف أزاءها • ذلك هو البعد الزمني والاجتماعي للعادة سواء كانت في السلوك ام التفكير •

وذلك هو الفرق بين أن يعمل العقل البشري بحريـة وبعلاقة مباشرة بينه وبين الموضوع وبين أن يعمل من خـلال قوالب تكونت بمرور الوقت ومن خـلال الجماعـة •

قلنا أن بين عادات السلوك وعادات التفكير علاقة جوهرية فالانسان في مجال السلوك عندما يواجه حالة تتطلب تصرفا معينا يلجأ الى العادة الموروثة لمعرفة ماذا يجب أن يفعل من أجل السهولة وبذلك يتجاوب مع الموقف بشيء من التلقائية والسهولة بدلا من أن يصوغ موقفا خاصا محددا لكل حالة بعد فحصها • كذلك في مجال التفكير يلجأ العقل البشري الى العادة المتكونـة بمرور الزمن التي تساعده على تـكوين رأي بدلا من تمحيص كل حالـة بحالتها وصياغة رأي محدد لكل منها • أن مفعول عادات السلوك والتفكير هو تكييف المواقف وخلق نوع من النمطية والتقارب فيما بينها بدلا من أتخاذ موقف محدد لكل حالة محددة • وبذلـك تؤثر سلبيا على الموضوعية أي القدرة على الاتجاه للحقيقة بذاتها •

أن قوالب التفكير هذه تخدم غرضا قد يكون أيجابيا لحد ما الا وهو التيسير ، أي تسـهيل عملية التفكير لعموم الناس وتخفيف المعاناة الـتي تصاحبها • ألا أنها أذ تسـهل عملية التفكير تدخـل عليه درجة من عـدم الدقة فلا يستطيع الفكر أدراك الحقيقة بـل يقاربها أو ربما يبتعد عنهـا بدرجات تتفاوت حسب تفاوت التقدم الفكري في المجتمع • أن قوالب التفكير التي يصوغهـا العقل بفعل الزمن والعيش في المجتمع تعمل عـلى التقليل من درجـة الموضوعية • في المجتمع المتخلف تضعف القـدرة على التفكير المستقل المتحرر من العادات والقوالب الفكريـة الموجودة المتوارثة • وفي المجتمع المتقدم تزداد القدرة على التفكير المستقل المتحرر من هذه القوالب الا أن القوالب تبقى موجودة وذات تأثـير • لذلـك يلاحظ على المجتمع المتخلف أن قدرة الفكر على الخروج على المألوف والـذي يعني بمعنى من

المعاني القوالب موضوع البحث ، تكون أقل مما هو الحال في المجتمع المتقدم والفرق بالطبع نسبي •

وهنا لابد من التنويه الى أن عملية التقدم قد تؤدي الى زوال قوالب تفكير معينة الا أن قوالبا جديدة تبدأ بالظهور بمرور الوقت وبفعل الظروف الجديدة • وبذلك تكون عملية التقدم مصحوبة بأحلال قوالب جديدة مكان قوالب قديمة • وبذلك تبقى عملية تكوين القوالب مستمرة طالما بقي الميل الطبيعي للراحة موجودا في الانسان •

ألا أن الفارق هو أن الفكر النشيط الذي يصاحب عملية التقدم وأزدياد وعي الانسان لما يحيط به وفهمه للمجتمع والحياة الجديدة أمور من شأنها أن تجعله أكثر تحسسا لهذه الظاهرة ووعيا لاثرها السلبي • وتلك هي الصفة المتحركة المتفاعلة النشيطة للمجتمع المتقدم مقارنة بصفة الجمود والكسل التي تطبع عادة المجتمع المتخلف • في المجتمع المتخلف قوالب فكرية تحجب الموضوعية وتتدخل فيها وفي المجتمع المتقدم قوالب فكرية ربما من نوع آخر تحجب الموضوعية وتتدخل فيها ، ألا أن قدرة الفكر في المجتمع المتقدم أكبر على معرفة ذلك والتحسس به والعمل على تقليل أثره • ولكن سرعان ماتتكون قوالب فكرية جديدة وهكذا • أن عملية ذوبان قوالب فكرية وتكوين قوالب فكرية جديدة أكثر سرعة في المجتمع المتقدم منها في المجتمع المتخلف الا أن الظاهرة موجودة في الحالتين •

أذن فقدرة العقل البشري على التفكير المستقل المتحرر من المؤثرات تحدها عوامل ذاتية بعضها ينبع من المصلحة الخاصة وما يمكن أن ندعوه بالانانية وبعضها ينبع من ميول الراحة والتبسيط والتيسير التي يجنح لها العقل على شكل قوالب يعمل من خلالها بدلاً من أن يعمل بصورة حرة مجردة • وفي كلا الحالتين يتعرض العقل لمؤثرات تحاول أبعاده عن رؤية الحقيقة وبذلك تفعل فعل العوامل المشوشة التي تمنع التركيز والرؤيا

الواضحة • وفي مجال توضيح الفروق بين الحالتين يمكن القول أن الانسان في الحالة الاولى يكون أكثر تحسسا ومعرفة لما يمنعه من التفكير الموضوعي من الحالة الثانية • وهنا أيضا لابد من التنويه بأن مسألة الوعي مسألة نسبية وليست مطلقة • فالانسان في أغلب الاحيان يدرك أسباب لاموضوعيته المتأتية عن أهواءه وأنانيته أكثر من تلك المتأتية عن القوالب والعادات الفكرية • وبعبارة أخرى أن درجة الوعي بالاولى في أغلب الحالات تكون أكبر من الوعي بالثانية •

- ٤ -

السؤال المهم الان هو كيف نكتشف ميول اللاموضوعية تمهيدا لمقاومتها ؟ ذلك هو السؤال العملي الذي بالاجابة عليه نستطيع تقديم بعض الفائدة المنهجية في تقويم عملية التفكير • وغني عن البيان أن أي جهد يبذل في سبيل مقاومة الميول اللاموضوعية أنما هو جهد في أتجاه صحيح يصب في الجهد العام للبشرية لمعرفة الحقيقة وتقويم الحياة على أساسها • هل يستطيع الانسان فعلاً أن يفعل شيئا من أجل مقاومة ميول اللاموضوعية في نفسه وبالتالي الحيلولة دون أنحراف عملية التفكير ؟ أنني أعتقد أن شيئا من ذلك ممكن •

الخطوة الاولى في سبيل ذلك هي المعرفة بوجود ميول اللاموضوعية أي تحسسها في داخل الانسان • فالانسان قد يكون راغبا فعلاً في معرفة الحقيقة المجردة وأن يعالج الموضوع المطروح عليه بتجرد وتكوين الرأي الصحيح أزاءه الا أنه يجابه ميولا أنحرافية ودوافع مشوشة فهل من سبيل لمقاومتها أو على الاقل تقليل أثرها ؟ الخطوة الاولى هي المعرفة بوجودها من دون شك • فالانسان قد يكون مدركا لميول اللاموضوعية الا أن علاقتها بعملية التفكير قد لاتكون مفهومة لديه • وفيما يلي بعض الملاحظات التي ربما تكون مفيدة في هذا الخصوص :

أولاً : على الانسان الراغب في مقاومة ميول اللاموضوعية أن يفحص أنفعالاته الداخليـة ومشاعره عندما يعرض الموضوع عليه • أن عوامـل اللاموضوعية التي تعرضنا لها لاتفعل مفعولها الامن خلال الانسان • أذن فعلى الراغب بالتعرف على مدى قربه من الموضوعية في تناول أي موضوع أن يتولى فحص مشاعره الداخلية • ومن المؤشرات الهامة في ذلك هي أن يرى فيما أذا كان الرأي المطروح أمامه يثير في نفسه أنفعال الغضب[1] • أن الغضب أنفعال عاطفي وظهور هذا الانفعال دليل على ان صاحبه أخذ يتعامل مع الرأي المطروح عليه عاطفيا لاعقليا • أن الحقيقة يجب الاتغضب أحدا الا أذا كان لديه ميل لعدم قبولها • أن التعامـل الموضوعي مـع الرأي يعني منطقيا أن الانسان يجب أن يرى الرأي المطروح عليه بحياد تام فأذا كان صحيحا عليه أن يقبله لانه يمثل الحقيقة • وعندها لامجال للغضب لان الغضب يستتبع منطقيا ميول الرفض ورغبة عدم القبول • ولماذا يغضب الانسان عندما يطرح عليه رأي أذا لـم يكن يحس بعواطف ذاتية أزاءه ؟ أن أنفعال الغضب في أغلب الاحيان مؤشر لمن يريد أن يتعرف على حقيقة مشاعره الداخلية وفحص طريقة تفكيره أنه يتعامل مـع الموضوع من منطلق الميول المسبقة لعـدم القبول في حين أن الحقيقة ليست موضوعا قابلا للقبول أو عدمه فهي الحقيقة والانسان الموضوعي لابد أن يقبلها تلقائيا أن كان يتوخوها حقـا •

ثانيا : وهناك مؤشر مفيد جدا في بعض الحالات الا وهو التعرف على علاقة الرأي بالذات • فأذا أراد الانسان أن يعرف مدى موضوعيته في بحث موضوع ماعليه أن ينتبه أولا الى السؤال التالي : هل أن الموضوع المبحوث عندما عرض عليك أثار في نفسك المقارنة بين حالة نفسك وحالة الموضوع

---

(١) لبرتراندرسل ملاحظة هامة حول ذلك .

B . Russell unropuler Essays , Unwin Paperbacks . London , P . 116 ‘ 117

المطروح ؟ هل أنك عندما كونت الرأي فكرت بأثره على مصالحك الخاصة ؟ هل فكرت عندما كونت رأيك بالمنفعة مهما كان نوعها التي سيجلبها لك أو بالضرر مهما كان نوعه الذي سيجنبك أياه ؟ وأذا كان ذلك قد حدث فهل حدث بسرعة أم ببطىء ؟ وبعبارة أخرى كلما كان تكوين الرأي مقرونا بتفكير سريع بالمنفعة أو الضرر الشخصي الذي ينتج عنه بذلك المقدار يتعرض الرأي الى اللاموضوعية •

أن الانسان يستطيع التعرف على مدى موضوعيته في تكوين الرأي عن طريق معرفة ماذا دار في نفسه وبماذا فكر ؟ فكلما كان حضور الذات قويا وسريعا كلما كان الرأي متأثرا بعوامل أنانية وبهذا القدر تكون موضوعيته قد تأثرت سلبا • أن هذا القول لايعني بالطبع الاستنتاج الساذج وهو أن الرأي لايكون سليما الا أذا كان ضد مصلحة الذات • أن هذا الاستنتاج مخطوء ولا يصلح أن يكون مقياسا • المقصود هو : بما أن الموضوعية تتطلب البحث المجرد عن كل مالايتعلق بجوهر الموضوع وبمعزل عن المؤثرات الاخرى بما فيها الذات فأن أقتران تكوين الرأي بحضور المشاعر الذاتية من شأنه أن يعرض الرأي لاحتمال اللاموضوعية • أن الذات هي منبع الاهواء والرغبات والعواطف كما أسلفنا لذلك فالنظر للامور من خلالها يعرض الرأي للابتعاد عن الموضوعية •

ثالثا : هناك أيضا مؤشر الخوف • أن الرأي الذي يثير في النفس الخوف من أي نوع كان يعني أنه قد مس الذات وحرك الشعور بما هو خاص • والخوف بحد ذاته وبما يخلق من أنفعالات عاطفية واستثارة للعاطفة يعني أن الامر المطلوب أتخاذ رأي بشأنه يتعلق بطريقة ما بالكيان الذاتي • فالانسان قد لايشعر بتحرك الجانب الذاتي فيه بشكل مباشر صريح عند طرح موضوع يتطلب أتخاذ رأي بشأنه وبالتالي لايشعر بأنه متعلق بمصالحه الا أنه قد يفعل ذلك بشكل غيرمباشر وذلك بأستثارة شعور الخوف • وشعور الخوف

كما قلنا في أساسه متصل بشعور الذات • أن الخوف على أنواع فهناك الخوف المادي وهناك الخوف أزاء قيم المجتمع أو الدين أو الاخلاق وهناك الخوف من فقدان شيء أو الفشل في الحصول على شيء وهناك الخوف من مجرد الخطأ الـخ • ومهما يكن نوع الخوف فأن مجرد ظهوره في النفس عند طرح موضوع يتطلب أتخاذ رأي دليل غير مباشر على تحرك الذات • وهنا أيضا كلما كان الشعور بالخوف قويا وكلما كان مباشرا سريعا كان أحتمال الابتعاد عن الموضوعية أكبر •

وفي التجارب العملية في الحياة غالبا ما يلعب الخوف دور المشوش في تحقيق الصواب في الرأي وفي العمل فكما أن الخوف عند المقاتل يزيـد من أحتمالات الخطأ في التصويب على الهدف كذلك يفعل الخوف مفعوله السلبي في تكوين الرأي • أن الوصول للحقيقة في التفكير يتطلب موقفا ذهنيا مجردا ومحصنا من المشاعر الذاتية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة •

هذه بعض المؤشرات التي تساعد من يتوخى الموضوعية على معرفـة موقفه الفكري والمعرفة هي الخطوة الاولى في طريق معالجة الانحراف وتوازن التفكير • لذلـك فمن كان يتوخى الموضوعية والتجرد في تفكيره عليه أن يفحص مابداخله أولا ليتعرف على حقيقة وضعه الفكري ، هل هو موات أم غير موات لتكوين رأي موضوعي • هل أنه في وضعه الحاضر وبناء عـلى مايحس به من مشاعر وأنفعالات متجه نحو الحقيقة أم أن التيارات الموجودة في نفسه الان تدفع في أتجاه الابتعاد عن رؤية الحقيقة المجردة ؟ •

— ٥ —

السؤال الذي يرد عادة بعد الحديث عن التشخيص هو هل هناك مايمكن عمله لمقاومة ميول اللاموضوعية ؟ هل يستطيع الانسان الراغب بالحقيقة أن يعمل شيئا أزاء ميول اللاموضوعية بعد أن يتعرف على وجودها ؟ فيما يلي مناقشة أولية لبعض الافكار التي ربما تكون نافعة في هذا المجال • وسأتناول

مناقشة مسألتين هما الاستعداد الشخصي والعمل الارادي • وفيما يتعلق بالمسألة الاولى سأتناول أمرين هما :

أولا : باديء ذي بدء علينا أن نسلم بأن قضية الموضوعية التي تعني التعلق بالحقيقة والرغبة في الوصول اليها مسألة في نهاية الامر مشتقة عند كل أنسان من الصفات الشخصية التي يتسم بها بغض النظر عن مناقشة من أين تأتي وكيف تأتي تلك الصفات وكيف تتطور • والصفة الشخصية المقصودة هنا أخلاقية هي مبدأ العدالة والانصاف وأحترام الحقيقة • فالافراد من دون شك يتفاوتون في مدى أحترامهم للعدالة والانصاف واحقاق الحق وقول الحقيقة وتلك صفات خلقية تعتمد على مدى قوة الجانب الروحي في الفرد • أقول ذلك لان الوصول للحقيقة يتطلب أولا وقبل كل شيء أن يكون الانسان راغبا بذلك أي أنه يحترم الحقيقة ويضعها كقيمة عليا فوق أعتبارات ومصالح الذات • أن نقطة البداية هذه أذا لم تكن موجودة فلا يصح بعدها أي شيء • أي أن الانسان لايتوخى الموضوعية الا أذا كان يريدها حقا ويسعى من أجل تحقيقها لذلك نجد في الحياة العملية أن الفرد الذي يكون هذا الجانب الروحي فيه قويا هو الفرد الذي يقوى على قول الحق لانه يمتلك قوة داخلية تعينه على مقاومة ميوله الذاتية ومصالحه الخاصة ، وتساعده على مقاومة مشاعر الخوف من النتائج • وبذلك تعمل هذه القوة الروحية الداخلية على ضبط النفس وموازنة أنفعالاتها والتغلب على العاطفة • تلك هي نقطة البداية التي يستند اليها كل جهد لمقاومة ميول اللاموضوعية توخيا للحقيقة أو الاقتراب منها على الاقل •

ثانيا : في تاريخ الفكر صراع مستمر بين موقفين في المعرفة موقف التعصب الذي يخرج الخطأ من الحساب ويدعي معرفة الحقيقة الكاملة دفعة واحدة وموقف يرى أن الحقيقة تعرف بالتدريج لذلك فأحتمال الخطأ أو النقص موجود • وبغض النظر عن ماهية الحقيقة فأن كلاً من النظرتين يسعى لمعرفة الحقيقة الا أن الاول يأخذ موقف الجزم والكمال وأمكانية المعرفة

مرة واحدة لذلك يؤدي هذا الموقف منطقيا الى رفض أحتمال وجود الخطأ أو النقص طالما أن الحقيقة قد عرفت بكاملها لذلك فلا مجال أو لاجدوى من سماع آراء أخرى • أما الموقف الثاني فطالما أنه يرى أن المعرفة تكتسب بطريقة منهجية كالطريقة العلمية المعروفة وأنها عملية مستمرة تتكشف من خلالها الحقيقة بالتدريج وأن التطور البشري هو التجسيد العملي لذلك فأن مايبدو الحقيقة اليوم قد لايكون كذلك غدا لذلك فأن أحتمال الخطأ دائما موجود الامر الذي يتطلب التأني والانفتاح على الاراء الاخرى وسماعها والوقوف منها موقفا أيجابيا نظرا لانها تحمل أحتمال وجود شيء من الحقيقة فيها • ومن ذلك يتضح أن الموقف الاول لايساعد على التوخي الموضوعي في البحث في حين أن الموقف الثاني يساعد على ذلك • فبمقدار مايكون الموقف الفكري للانسان قائما على أساس هذه النظرة بذلك المقدار يكون أقرب الى موقف التروي والتأمل في تكوين المواقف • أن النظرة العلمية أن صح التعبير القائمة على الاخذ بالتطور البشري وعدم القطع بمعرفة كامل الحقيقة من شأنها أن تسلح الانسان بصفات تساعد على توخي الموضوعية فهو مثلا لايحكم على الاشياء بمظاهرها أو كما تبدو اليه لاول وهلة لانه يعرف أن النظرة العلمية تضع في الاحتمال أن تكون حواس الانسان قاصرة عن رؤية الحقيقة ، كما هو حال الناظر لعصا مغطس نصفها في الماء فيراها معوجة في حين أن حقيقتها غير ذلك • والنظرة العلمية تسلح الانسان بمعرفة مفيدة عن مزالق العقل البشري وأمكانيات أخطاءه في تقييم الظواهر الامر الذي يستتبع عملية الاختبار وشروطه ومنهجيته ••• الخ مما هو معروف عن الطريقة العلمية في أكتساب المعرفة • كما أن النظرة العلمية تضع في الحساب أن التطور عملية مستمرة لذلك فما يبدو أنه الحقيقة اليوم من نظريات قد لايكون كذلك في المستقبل كما حدث فعلا في تطور العلوم •

ورب سائل يسأل وماهو السبيل لتكوين هذا الموقف المساعد على الموضوعية ؟ والجواب على ذلك هو أن بعضه يأتي من الاستعداد الشخصي

وبعضه من أكتساب المعرفة ذاتها • أن أحترام العلم وتقدير المنهج العلمي في البحث يتفاوت من شخص لاخر بسبب عوامل عديـدة لامجال لبحثها الان أو بالاحرى ليس بالمقدور تماما معرفة الاسباب التامة لتفاوتها من فرد لاخر • المهم هو القول بأن شيئا منها يعتمد عـلى الاستعداد الشخصي الذي تغوص جذوره في التركيب النفسي والروحي والثقافي للفرد ذاتـه •

ولكن بجانب الاستعداد كنقطة بداية فأن المعرفة العلمية أو المعرفـة بالنظرة العلمية نفسها أمر يساعد على تكوين هذا الموقف أي أن أكتساب المعرفة بحد ذاته عامـل يغذي نفسه • وهو أن الانسان أذا وضع في حسابه دائما عندما يكوّن رأيا أنـه من الممكن أن يكون عـلى خطأ فأنه يكتسب أستعدادا للتسامح وقبول آراء الاخرين وعـدم الجزم بأنه يعرف الحقيقة الكاملة • أن هذا الموقف بحـد ذاته وعن طريق الاستعداد لسـماع الاراء الاخرى والنظر اليها على أنها من المحتمل أن تكون صائبة .• أن ذلك بحد ذاته يساعد على الموضوعية • أن مجرد تهيأ الفرصة للاراء الاخـرى للنظر فيها ومجرد قبول النظر بالاحتمالات الاخـرى بحد ذاته يشكل مدخلا للنظرة الموضوعية وبعكسه يكون الانسان قد حبس نفسه في حدود آراءه وحجب عن عقله النظر في الاراء الاخرى الامر الذي يدفع في أتجاه اللاموضوعية •

وتجدر الاشارة الى أن الموقف العلمي هذا عامل يساعد على الشعور بوجود قوالب التفكير والتعرف على مفعولها في حجب الحقيقة أو الانحراف عنها •

- ٦ -

وبعد الحديث عن الاستعداد الشخصي والموقف الذهني والاخلاقي للفرد لابد من أيـراد بعض الملاحظات حول مايستطيع الانسان أن يعملـه لمساعدة نفسه عمليا ليتجنب ميول اللاموضوعية أو التقليل من آثارها على

الاقل • ماذا يستطيع الانسان الراغب في معرفة الحقيقة أن يعمل لمساعدة نفسه في هذا المجال ؟

أولا : يجب أن نعرف أن الخطوة الاولى تتم داخل النفس وبعدها يأتي الموقف الخارجي • أولا علينا أن نعرف أن مايجب عمله يتعلق بالنفس في داخلها • والشيء الهام في هذا المجال هو أن يتحدث الانسان مع نفسه ويحاورها وبذلك يجعل عملية تكوين الرأي تتم بالحوار بين جهتين بين الانسان وبين نفسه أي أن يجعل من نفسه جهتين متقابلتين لا جهة واحدة • أن هذا الفصل والتقابل بين الانسان وبين نفسه من دون شك يساعد على تقوية الميل للموضوعية • فأذا ماعرض علينا أمر لتكوين رأي علينا أن نشجع الحوار الداخلي والتقابل بين جهتين لا أن ندمج النفس بجهة واحدة تندفع لتكوين رأي سرعان ماتلقيه للخارج على أنه الموقف النهائي من الموضوع المطروح • وفي الحقيقة أن عملية تشجيع الحوار بين جهتين في داخل النفس يعني في النهاية الحوار بين ميول الذات أو أنطباعات الذهن الاولى وبين أستعداد الفرد للموضوعية الصادر من صفاته الشخصية وموقفه العقلي ، أي بين ميول اللاموضوعية وميول الموضوعية •

أذن علينا اولا أن نحدث أنفسنا عن الموقف الذي تعمل أهوائنا أو أنطباعاتنا على تكوينه هل هو مجرد يتوخى الحقيقة ؟ هل هو نزيه خال من الرغبات والانانية ؟ هل يمثل الحقيقة بذاتها ام انه مايبدو لنا كذلك أو ماأعتدنا على أعتباره كذلك أو ماأعتاد المجتمع على أعتباره كذلك ؟ ومهما يكن فالحوار مع النفس والكلام معها مفيد كأجراء وقائي •

أما عندما يغيب الكلام مع النفس والحوار الداخلي تصبح عملية تكوين الرأي معرضة أكثر لغلبة ميول اللاموضوعية وتصبح شبيهة بلعبة كرة المضرب يأتي الموضوع من الخارج فيجيب عليه الانسان بموقف سريع من جهة واحدة هي النفس بدون حوار داخلي وعندها يكون من المنتظر أن تفعل الميول

الذاتية وقوالب التفكير فعلها في تكويـن الرأي تقذفه النفس الى الخارج كجواب على الموضوع •

ثانيا : وفي مجال التطبيق العملي لكيفية تكوين الرأي في داخل النفس هناك أيضا مايمكن أن يقال • ومن الوسائل المساعدة على جعل الحوار الداخلي مفيدا هو في أجـراء محاكمة عقلية يضع الانسان فيها نفسه في مكان الجهة الاخرى ويحاول أن يتخيل مايمكن أن يحصل له أو مايشعر به في تلك الحالة • أذا اردت أن تختبر مدى موضوعيتك أو عدالتك في موضوع ما فعليك أن تناقش الموضوع مع نفسك وتقول لها : لوكنت أنا في مكان الشخص الاخر فماذا كنت سأفعل أو ماذا كنت سأقول أم كيف كنت سأتصرف وحاول تركيب الموقف لاقصى ماتستطيع وأستمع جيدا الى نفسـك وهي تجيب على هذه الاسئلة • أن الذي يساعدك في مثل هذه التجربة الداخلية هي أنها تجـري بصمت وبدون معرفـة الاخرين فهي مجرد حوار مع نفسك وليس أمـام الاخرين • أن أصغاءك جيدا لاجابات نفسك على هذه الاسئلة عندما تكون في وضع تخيلي يساعد من دون شك على فهم موقف الاخرين ويعطيك شيئا من القوة الداخلية لمقاومة ميول اللاموضوعية في نفسك • قد تكون عملية التركيب التخيلي هذه صعبة وهي من دون شك لايمكن أن تعكس كامـل الحقيقة لسبب واضح هو الفرق بين الحقيقة والتخيل الا أنه مع وجود هذا الفرق فالتجربة مفيدة ويجدر أستخدامها كوسيلة من وسائل تحقيق التوازن الداخلي وزيادة الوعي بميول اللاموضوعية الموجودة في النفس وفي الذهن •

ثالثا : هناك أيضا عامـل الوقت الذي يجب أن نستفيد من مفعولـه الايجابي • السرعة في تكوين الرأي عموما وفي أغلب الحالات لاتساعد على الموضوعية • أن مجرد مرور شيء من الوقت في عملية تكوين الرأي يساعد من دون شك على هدوء العاطفة وهبوط الانفعالات الذاتية الناتجة عن الصدمة الاولى أو التماس الاول بين الموضوع وبـين النفس والذهن • أن الحوار

الداخلي نفسه يحتاج للوقت كما أن الذهن البشري قد يعمل بطريقة ماعندما يلامس الموضوع لاول مرة ولكنه قد يعمل بطريقة أخرى بعد مرور شيء من الوقت • أن عملية التفكير بذاتها وبكل ماتنطوي عليه من حوار وتذكر ومقارنة وتحليل تتطلب الوقت • أن شكل أستجابة الجهاز العصبي للمؤثرات الخارجية يطرأ عليه تغيير كلما مر وقت على لحظة التماس الاولى •

ونحن في تجاربنا العملية نعرف أن لهذه القاعدة شيء من الصحة فكثيرا مايحدث اننا نكون رأيا بقضية ماعندما تواجهنا ولكننا عندما نسمح لشيء من الوقت أن يمر نجد أن موقفنا الداخلي يطرأ عليه تغيير أو تعديل • فضلا عن أن عملية الحوار الداخلي وتقمص موقف الجهة الاخرى وفحص المشاعر والتعرف على الدوافع الذاتية والقوالب الفكرية كلها أمور تحتاج لشيء من الوقت • لذلك ولجميع هذه الاسباب يستحسن لمن يرغب في مقاومة ميول اللاموضوعية في نفسه أن يعطي عملية تكوين الرأي شيئا من الوقت وألايعتبر السرعة في هذا المجال حسنة •

رابعا : هناك مسألة لاتقل أهمية في مساعدة النفس على مقاومة الميول اللاموضوعية هي مايمكن أن يطلق عليه الخبرة ببعديها الزماني والمكاني • والمقصود بالخبرة الزمانية هي معرفة التاريخ التي من خلالها يستطيع الانسان أن يطلع على تجارب الماضي والاطلاع على تجارب الماضي أمر يساعد من دون شك على توسيع الافق والمدارك والمعرفة بما حصل للانسان خلال الزمن في عملية مواجهة المواقف وكيفية التصرف أزاءها خاصة في مجال التفكير وتكوين الرأي • فمن خلال التاريخ نستطيع أن نعرف ماذا حصل للنظريات التي أدعت كل منها في حينه أنها قد توصلت لكامل الحقيقة • والتاريخ يوضح لمن يريد أن يعرف ماذا كانت نتيجة المواقف اللاموضوعية التي وقفها الافراد أو الامم وبعكسه ماذا كانت نتائج المواقف التي حاول فيها الافراد أو الامم مقاومة تلك الميول وتوخي الحقيقة المجردة عن الاهواء وعن عادات التفكير السائدة •

لذلك كان لدراسة التاريخ أهمية خاصة في تقويم الحاضر • ولعل من أهم النواحي التي تبرز فيها هذه الاهمية هي مجال التفكير •

ولاتقل أهمية عن الخبرة الزمانية الخبرة المكانية أي معرفة تجارب الاخرين في الوقت الحاضر في البلدان الاخرى • فالعملية الفكرية مستمرة في سائر أرجاء العالم وللانسان في هذا المجال تجارب مفيدة لمن يريد أن يطلع ويساعد نفسه للاستفادة منها • أن الاطلاع على أحوال المجتمعات الاخرى من خلال السفر والاختلاط والتفاعل الحي لاشك بأنه مفيد في توفير مادة لصور متعددة من المعاناة البشرية في مجال التفكير وتوضيح معالم الصراع المستمر بين ميول الموضوعية وميول اللاموضوعية • أن الاطلاع على الحالات المتعددة في البلدان الاخرى ومعرفة تنائجها وما تمخضت عنه وحالات الفشل والنجاح كلها أمور توفر مادة للمقارنة وأمثلة ومعلومات مفيدة عن نشاط الفكر البشري لذلك فالفرد عندما تتاح له فرصة الاطلاع على أحوال بلدان أخرى نجد أن نظرته الى مشاكل بلاده تأخذ شكلا في بعض الاحيان مغايرا لنظرته لها من داخل بلاده •

ان العقل البشري من أجل ان يعمل بنشاط يحتاج الى الاستثارة والتحفيز والاحتكاك بأفكار الاخرين عن طريق التعرف والاختلاط • ان عملية التعرض للافكار الاخرى من خلال الاطلاع على التطور الزمني ــ التاريخ أو من خلال البعد المكاني ــ اي التعرف على البلدان الاخرى ــ يوفر فرص التعرض للنشاط الفكري للاخرين في الماضي والحاضر • ومن خلال عملية التعرض يستطيع العقل البشري ان يحصل على عملية التفاعل والاستفزاز حيث تحصل عملية المقارنة وتوسيع المدارك والاطلاع على الامثلة ودراسة الحالات • وحصيلة كل ذلك هي الاطلاع والنشاط ومن كليهما يستطيع الانسان الراغب في مقاومة ميول اللاموضوعية الناتجة في الغالب عن المحدودية والانغلاق في اطار القوالب في التفكير ان يجد الادوات المساعدة على اختراق

جدران تلك القوالب والنفاذ لحقيقة الاشياء • ان ظاهرة تعمد المؤسسات العلمية في البلدان المتقدمة ان تقوم بنشاط واسع في مجال المناقشة والاحتكاك بأفكار الاخرين في البلدان الاخرى يكمن وراءها في الغالب الرغبة في تنشيط الفكر وأكتساب الخبرة وتوسيع المعرفة أكثر من تحقيق اهداف عملية مباشرة • ان عملية توسيع المعرفة وتنشيط الفكر قد تعتبر هدفا بحد ذاته الا وهو مقاومة الحدود التي تضعها قوالب التفكير المحلية على الرغبة في الوصول للحقيقة المجردة أي الموضوعية •

وفي الختام يتضح من كل ذلـك ان ميول اللاموضوعية النابعة من الانانية ورغبات الذات ومن القوالب التي يكونها العقل البشري بفعل الزمن والعيش بضمن الجماعة يستطيع الانسان ان يعمل شيئا لمقاومتها او للحد منها على الاقل • صحيح ان نقطة البداية في تقوية ميول الموضوعية تعود لصفات شخصية في الانسان الا انه يستطيع ايضا أن يعمل شيئا عمليا لتقوية استعداده الشخصي اي ان للارادة دور ما في تقوية ميوله للموضوعية •

ان قوة المقاومة للاموضوعية بعضها طبيعي ولكن بعضها الاخر مكتسب تلعب الارادة فيه دورا في تدريب العقل وتطويعه في اتجاه يساعد على تقوية ذلك الاستعداد • والمسألـة المركزية في عملية التدريب الارادية هذه هي اجراء حوار داخلي مع النفس واعطاء العقل شيئا من الوقت وزيادة خبرته في البعدين الزمني والمكاني • وبالطبع فـأن جميع مايمكن ان يعمله الانسان لايكون نافعا اذ لم يكن هو في صفاته الشخصية راغبا في معرفة الحقيقة اي راغبا في ان يكون موضوعيا •